

خصائص مقاومة الشيخ بوعمامة والعوائق المحلية في وجهها

أ.د:عبد القادر خليفني
جامعة وهران

مقدمة

الشيخ بوعمامة هو زعيم المقاومة الشعبية التي اندلعت سنة 1881 بالجنوب الغربي الجزائري في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي. وهو ينتمي إلا قبائل أولاد سيدي الشيخ التي تزعمت المقاومة المعروفة باسمهم سنة 1864.

وينحدر الشيخ بوعمامة من سيدي التاج الابن الثالث عشر لسيدي الشيخ جد القبيلة. لم يكن لقبيلة "أولاد سيدي التاج" دور بارز في تاريخ القبيلة، بل كان رجالها محايدون من ذلك الصراع الذي دار بين فرعيها الشرقي والغربي على رئاسة الزاوية، وكان أسلافهم قد انتقلوا إلى منطقة عين الصفراء وفكيك المغربية في تاريخ سابق (ق 18م) قادمين من منطقة الابيض سيدي الشيخ.

كانت قبائل أولاد سيدي الشيخ ذات النسب المرباطي، تسكن الجنوب الغربي الجزائري منذ القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت تحظى بمكانة محترمة بين سكان المنطقة. وقد ازداد التكريم والاحترام لهذه القبائل بعد ظهور الشيخ عبد القادر بن محمد الذي سيعى "سيدي

الشيخ"، بعد أن أسس طريقة صوفية متفرعة عن الشاذلية. وبعد وفاته سنة 1616م، أصبحت بلدة الحاسي الأبيض التي دفن فيها، تدعى منذ ذلك الحين بـ "الأبيض سيدي الشيخ"، تكريما للشيخ الراقد في تربتها. وأصبحت البلدة والضريح مقصدا للزيارة قصد الذكرى والتذكر، أو قصد التبرك والتوسل.

كان للطريقة أتباع كثيرون بين مختلف قبائل المنطقة، يقدمون العطايا المادية فيما يدعى بـ "الغفلر" للزاوية سنويا، مما كان ييسر الدخل المالي للمكان الذي أصبح زاوية تعلم القرآن الكريم وتؤوي الغريب والمسافر. وكان تأثير الطريقة يمتد من مدينة فكيك المغربية غربا إلى مدينة ورقلة شرقا.

الوضع في الجنوب الغربي بعد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830

كان الوضع مستقرا، وكانت الزعامة الشعبية في المنطقة لقادة أولاد سيدي الشيخ باعتبارهم ورثة جدهم سيدي الشيخ مؤسس الطريقة المذكورة. وقد سارت القبيلة مع الأمير عبد القادر سنة 1836 لتأديب الزاوية التجانية في عين ماضي، وفرض الانضمام إلى المقاومة الوطنية، وعادت بعد ذلك إلى العزلة التي عاشتها منذ زمن.

وبعد أن احتل الفرنسيون مدينة الجزائر سنة 1830، انطلقوا لاحتلال القطر الجزائري كله، وكانت لهم محاولات للسيطرة على الجنوب الغربي من خلال القيام بعدة حملات عسكرية: منها حملة العقيد جيري سنة 1845، وحملة الجنرال كافينياك سنة 1847، والحملة الثالثة تحت قيادة الجنرال بليسي سنة 1849.

جاءت هذه الحملات للاطلاع على المكان من أجل السيطرة عليه مستقبلا، وقد عاثت هذه القوات المعتدية فسادا في التنكيل بالسكان

والاستيلاء على مقدراتهم المادية، وعادت إلى قواعدها في الشمال. وكانت بلدة البيض هي التي نجح جيري في إقامة أول مركز عسكري بها عندما عاد إليها ثانية سنة 1853، وستدعى البلدة بعد حين باسم (جيريفيل).¹

عمل الفرنسيون على التقرب من العائلة الشيخية لكسب أبنائها إلى جانبهم، وقد وافقوا في ذلك بجعل زعيمها حمزة بن بوبكر زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة يسير في ركبهم، فعينوه خليفة على الجنوب في ذلك الوقت حتى ورقلة. وعندما ارتابوا في إخلاصه لهم استدعوه إلى الجزائر العاصمة، وهناك توفي سنة 1861، وقد أثرت حول موته عدة تفسيرات، منها أنه مات مسموما بتدبير من الفرنسيين. جاء في أحد التقارير الفرنسية أن حمزة بن بوبكر خليفة أولاد سيدي الشيخ مات يوم 21 أوت 1861 في ظروف غامضة بمدينة الجزائر.²

وبعد موت حمزة بن بوبكر، خلفه ابنه بوبكر برتبة باشاغا، وهو منصب أقل من منصب خليفة، ولم تدم فترة حكمه طويلا؛ حيث توفي في السنة الموالية (23 جوي)، ليخلفه أخوه سليمان بن حمزة، الذي أعلن المقاومة سنة 1864،³ فاستقال من منصبه، وأعلن الجهاد في أبريل من السنة نفسها، بمراسلة مختلف قبائل أولاد سيدي الشيخ والقبائل الموالية لهم.

وقد قتل سي سليمان في أول معركة في مواجهة الفرنسيين، كما قتل الجنرال بوبريتر قائد القوات الفرنسية في المعركة نفسها وهي معركة عويّة بوبكر بنواحي البيض. وتولى الزعامة بعده أخوه سي محمد ثم أحمد وأخيرا قدور بن حمزة الذي عقد الصلح مع الفرنسيين سنة 1883.

هذا عن قبائل أولاد سيد الشيخ الشراقة (الجزائريون) عامة، قبل ظهور مقاومة الشيخ بوعمامة، الذي ينتمي إلى هذه القبيلة الكبيرة بفرعها الغربي، والذي استقر في بلدة «مغرار التحتاني» سنة 1875 لينشئ فيها زاوية شيخية، ثم يعلن المقاومة المسلحة سنة 1881 ويخوض معارك ضد العدو المحتل، ويبقى صامدا في موقفه العدائي من الفرنسيين حتى وفاته سنة 1908 بعيون سيدي ملوك بالمغرب الأقصى.

فماذا نعرف عن خصائص مقاومته؟

تميزت مقاومة الشيخ بوعمامة بعدة خصائص نذكر منها ما يلي:

1- الزعامة الدينية

كان بوعمامة شيخا لطريقة صوفية، قبل أن يعلن المقاومة سنة 1881، أي أنه كان زعيما دينيا بحتا. وإذا قارناه بزعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ، التي اندلعت قبل ذلك سنة 1864؛ فإننا نتوصل إلى حقيقة أن الشيخ بوعمامة يختلف عنهم؛ حيث أنه تولى هذه الزعامة منذ استقراره ببلدة «مغرار» سنة 1875، كمقدم للطريقة الشيخية، بتوجيه من شيخه محمد بن عبد الرحمن ممثل الطريقة في بلدة بني ونيف، ثم كشيخ في مرحلة تالية؛ في الوقت الذي تزعم مقاومة 1864 زعماء سياسيون، ورثوا ولاء القبائل التي كانت «موالية لأسلافهم»، وليس لمنصب ديني كانوا يتولونه.

كما أن مقاومة الشيخ بوعمامة عرفت باسمه لأنه كان الزعيم الأوحيد لها، بينما تعدد زعماء المقاومة التي اندلعت سنة 1864. ويتمثل هؤلاء الزعماء الآخرون في سليمان بن حمزة مفجر المقاومة، فأخوه محمد فأحمد وأخيرا قدور بن حمزة، يضاف إليهم أعمامهم سي الأعلى

وسي الزبير، بالإضافة إلى زعماء أولاد سيد الشيخ الغرابة ومنهم سي سليمان بن قدور.

وكان شعار مقاومة 1881 هو مواجهة الاستعمار عن طريق الجهاد تحت راية الإسلام ودفاعا عن الوطن، وليس لمنصب فقده زعيمها أو لقضية أثرت بينه وبين الفرنسيين أو مع أعوانهم من الجزائريين الذين باعوا ضمائرهم لأعداء الوطن.

كان الشيخ على علم بالحركة الجهادية التي عزم على قيادتها، فأعلم تابعيه وأعوانه أنها المشقة والمآسي وأنها ترك الأولاد والأوطان. لم يجبر أحدا على ذلك، بل كان يخيرهم بين إتباعه أو التخلي عنه، ولكنه وفي الوقت نفسه، يطلعهم على أن ما يقوم به، وهو إحدى شعائر الدين الإسلامي وهي شعيرة الجهاد. جاء في إحدى رسائله إلى قبائل الشعامبة سكان الصحراء الجزائرية: "...وبعد نعلمكم أعلمكم الله خيرا، نريد قدومكم، ونلاقوا(كذا) على أمر الجهاد في سبيل الله، هذا الأمر نادى (به) المنادي..."⁴

وهو بهذا الطرح كان يحاول تحاشي قناصي الفرص والمتملقين ذوي النفوس المريضة الراغبين في استغلال الفرصة للإغارة والسلب، على حساب المبادئ والدفاع عن الوطن بإخلاص وتفان، ويريد أن لا يتبعه إلا من قىل الجهاد وقلبه مطمئن كل الاطمئنان.

لقد كان الدين ولا يزال من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، لأن الدين بما له من قوة التأثير يولد لدى أتباعه نوعا من الوحدة في الشعور ويثير في نفوسهم العواطف والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم تأثيرا شديدا.

ومهدده الخاصة اختلقت مقاومة الشيخ بوعمامة عن مقاومة أولاد سيد الشيخ السابقة لها تاريخيا، والتي تميزت بالجانب العسكري دون غيره.

2-إنشاء الزاوية

بمجرد أن استقر الشيخ في بلدة «مغرار جنوبي عين الصفراء ابنتى زاوية بمساعدة سكان القصر، التي أصبحت تؤدي مهمة تحفيظ القرآن الكريم وإيواء المحتاجين والمسافرين وذوي الحاجة بصفة عامة. كما ابنتى ثانية تحت الزرائب في بلدة أولاد عبو بدلدول في الجنوب الجزائري عندما انتقل إلى هناك، وثالثة متنقلة في الخيام بعد خروجه من لدول سنة 1894 إلى وفاته سنة 1908. وقد استقبلت الزاويتان، الأخيرتان، بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أعمال البر والإحسان، استقبلت الناقمين على السلطة الفرنسية في الجزائر، الذين كانوا يجدون في الزاوية الأمن والإيواء.

وقد ظلت الزاوية خلية تلتف حولها القبائل الجزائرية في الجنوب الغربي وفي شرقي المغرب تحت زعامة "شيخ يجمع إلى جانب الورع والتقوى موهبة القيادة الحربية والمناورة السياسية، حريص على جمع كلمة المسلمين وخدمة الإسلام عقيدة وعملا. ومن ثمة يمكن اعتبار هذه الزاوية، (كما يقول عبد الحميد زوزو) نموذجا للدور الإيجابي الذي اضطلعت به بعض الزوايا، والمتمثل في رفضها للاستغلال والاستعمار."⁵

لتحضير الحكم

لم تقم مقاومة الشيخ بوعمامة من العدم أو دون تحضير ورغبة، بل كانت مسألة المقاومة في ذهن الشيخ قبل سنوات من اندلاعها. فقد

زار قبائل مختلفة في الجنوب الغربي، ووعدوا بإعلان الجهاد في الوقت المناسب، وأرسل مقدمي الطريقة إلى قبائل أخرى،⁶ يدعوها إلى الاستعداد للجهاد بتوفير السلاح والذخيرة (تقرير 22 أبريل 1881) معلنا لهم بأنهم سيسمعون عنه قريباً "سلطاناً" (بالتعبير الصوفي). وكان السبب المباشر الذي اندلعت على إثره المقاومة هو حادثة محاولة القبض على أحد مقدميه وهو الطبيب الجرمانى. جاء في تقرير للسلطات الفرنسية مؤرخ في 25-4-1881 أن الزائرين لبوعمامة -يوحون معقلاء ويغدون مجانين.⁷ وهو ما يعني رفضهم للحكم الاستعماري، وهذا ما يراه الفرنسيون خروجاً عن الأعراف وعن القانون الذي وضعوه، وهو في نظرهم جنون.

ويذكر أحد الضباط الفرنسيين المعاصرين للشيخ أنه "منذ سنة 1878 قام مقدمو بوعمامة بأعمال مشتبها فيها لدى القبائل البدوية جنوبي إقليم وهران، يبشرون بالجهاد ويسجلون الإخوان وينظمون جهودهم من أجل حركة عامة."⁸ ويقول آخر، معاصر له أيضاً، إن بوعمامة كان يكرر في ظروف متعددة أنه لن يطول الوقت حتى يسمع عنه الكثير، وأن أيام فرحة المسلمين ستعود قريباً.⁹

وفي 23 مارس 1880 أعلم قايد الشلالة الظهرانية السلطات العسكرية بأن عدداً كبيراً من الزوار من قبائل الطرافي حملت الزيارة لبوعمامة. وأن أفراداً من قبائل دراقة وأولاد سرور وعكومة، كانوا في الأيام السابقة، قافلة تتكون من 60 إلى 70 شخصاً، ذهبوا كلهم لمنح الشيخ كمية هامة من المواد، أكثر مما كانوا يدفعونه له عادة. منها تسعة من الإبل تحمل الألبسة والقمح والزبدة والقهوة وألفين من العملة. وكانت القافلة تتضمن أيضاً حصانين خاصين للاحتفالات، وتم تسليم كل ذلك للزاوية.¹⁰

فهذه الزيارات وتلك الوعود، إلى جانب تلك المؤن من أغذية وألبسة، ما هي سوى مقدمات لحركة مستقبلية كانت تهيؤ في الخفاء، علم بها أعوان الاستعمار الذين كانوا يتتبعون عورات بني وطنهم لرصد كل حركة تنم عن معارضة أو تمرد في مواجهة العدو المستعمر، تلبية لتوجيهات أرباب نعمتهم، وخدمة لمصالحهم مقابل فتات يتسلمونها من هذا العدو.

4- كثرة المراسلات

كانت للشيخ مراسلات عديدة ومع جهات كثيرة، وبخاصة بعد انتقاله إلى دلدول. وفي مقدمة الجهات التي راسلها نجد السلطات الفرنسية، كرئيس الجمهورية ووزير الحربية والحاكم العام بالجزائر، وحكام المقاطعات المختلفة هنا وهناك (غرداية- جنين بوزرق- عين الصفراء- القليعة)، إلى جانب مراسلاته للسلطان المغربي¹¹ وإلى سي قدور بن حمزة آخر زعماء مقاومة 1864، وإلى زعامات أخرى وأشخاص جزائريين ومغاربة. وكان له ختم وأسلوب معين في الكتابة والتوقيع، وكانت له مفاوضات مع قادة فرنسيين؛ وهذه الخاصية، كما يقول المؤرخ عبد الحميد زوزو، كانت هذه المقاومة أقرب إلى مقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي منها إلى بقية المقاومات الشعبية الجزائرية الأخرى.¹²

وقد استعمل الشيخ بوعمامة أسلوب المناورة في تعامله مع السلطات الفرنسية، فقد كان دائم المراسلة معهم، وبخاصة بعد انسحابه من المنطقة التي اندلعت فيها حركته؛ داعيا إلى الحوار، مرجحا التفاوض بدل الصدام، مدافعا عن أتباعه. وهو بذلك يستغل طلباته للأمان من أجل توسيع نفوذه أو أخذ قسط من الراحة لجنوده

بعدها كابدوه من هجرة وتشرد ومتابعة من قبل القوات الفرنسية، أو من أجل التحرك من مكان إلى آخر.

كانت السلطات الفرنسية تفرض على الجزائريين الذين يتنقلون في الجنوب الحصول على رخصة مرور للمغادرة، وعليهم الاتصال بسلطات المنطقة التي يحلون بها. يذكر في هذا المجال، أن بوعمامة لم يفعل ذلك في إحدى المرات؛ ففي 15 جوان 1879 قام بزيارة ضريح سيدي الشيخ، كما كان يفعل دائما. ومن هناك وجه رسالة إلى القائد العسكري الأعلى لجيريفيل، يعتذر له فيها عن عدم المرور بالمركز الفرنسي، على إثر تنقله هذا، مبررا ذلك بشدة تعب¹³.

فهل فعلا كان تعب الشيخ هو المانع له من المرور بالمركز الفرنسي؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ لا شك أن الشيخ لم يكن يرغب في رؤية الفرنسيين أعداء الوطن وأعداء الدين، فأراد من تلك الرسالة أن يتقي شرهم في كل الأحوال.

وجاء في أحد المؤلفات الفرنسية المعاصرة لمقاومة الشيخ أيضا: "إنه (بوعمامة) يرغب في تبادل المراسلات معنا بهدف خداعنا، لقد طلب في شهر أوت 1880 القدوم للسكن في الأبيض (سيدي الشيخ)، حيث اقترح بناء مسكن له فيه. وقد أجبناه بالإيجاب ومنحناه تصريح مرور، ورغم ذلك بقي يسكن «مغارر» ولم يتكلم عن تغيير مسكنه مرة أخرى.¹⁴ وفي تقرير آخر، ورد أن الشيخ تقدم سنة 1883 بطلب للأمان، ورفضته السلطات الفرنسية لعدم ثقتها فيه.¹⁵

لقد وعى كثير من الفرنسيين أهداف الشيخ من طلبه للأمان، فلم يعيروه اهتماما كبيرا، ودعوا حكومتهم إلى الانتباه لهذا الأمر، واتخاذ

الإجراءات اللازمة للقبض عليه أو إبعاده عن الأراضي التي كان الفرنسيون يسعون للسيطرة عليها.¹⁶

أما عروض الأمان من قبل الفرنسيين فتتمثل، بحسب علمنا، في الآتي: في سنة 1885 زاره، وهو في دلدول، الملازم مارسيل بالات، وأبلغه العرض الفرنسي بتسليم نفسه بدون شروط مع إحالته على العدالة للنظر في الدور الذي لعبه في حوادث ما كان يسمى بالجنوب الوهراني، فلم يرد عليه ردا واضحا.

وفي سنة 1892 جاءه مبعوث السلطات الفرنسية الحاج علي بوطالب الملحق بالوزير المفوض بطنجة، تعرض عليه السلطة الفرنسية الأمان والتمتع بالراحة والحصول على كل الامتيازات التي حصل عليها أبناء عمه سنة 1883. وفي المرة الثالثة توصل برسالة أمان، من قبل الحاكم العام لافيرير، في نوفمبر سنة 1899، يهدده فيها بالحصول على ما ناله الرعايا الفرنسيون من حسن الحماية. وقد كانت ردود الشيخ كلها مراوغة لاستغلال الوقت، فلا هو قبلها ولا هو رفضها قطعيا، بل نجده يؤجل ذلك إلى الوقت المناسب؛ مما يدل على حنكته ومعرفته بالأوضاع المحيطة به.

وفي السنة التي غادر فيها منطقة دلدول في اتجاه فكيك المغربية وهي سنة 1894 راسل عدة جهات فرنسية يطلب فيها منحه الأمان، مذكرا إياهم أنه لا يرغب في تعكير الجو بين الطرفين. وقد وجه ثلاث رسائل في السنة المذكورة إلى كل من الحاكم العسكري لبلدة جنين بورزق القريبة من مدينة فكيك (4 أبريل)، وثنائية إلى الحاكم العام بتاريخ (24 أبريل)، وثالثة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية (جوي). وبعد سنتين أي في 17 جوي 1896 راسل الحاكم العام بنفس المعنى،

ومما جاء في رسالته: "ونحب منك تنبه طاعتك وتأميرهم بكف الأذى عنا. لهم يستوصوا بنا خيرا.." ¹⁷

فهو يطلب الأمان من السلطات العسكرية الفرنسية بين الحين والآخر، وعندما يصدر له الأمان يتلکأ في الخضوع، وبعد مرور سنوات يرسل السلطات العسكرية ليذكرها بالأمان الذي منح له في السابق كي لا يتم التعرض بالأذى لاتباعه، رغم أنه لم يمد منه أي رد إيجابي.

وإذا أردنا معرفة رأي أحد معارضي الشيخ بوعمامة وهو عبد الوهاب بن منصور المؤرخ المغربي، الذي لم يترك شاردة ولا واردة مشينة إلا ألصقها بالشيخ؛ فهي هو، يرغم على قول جزء من حقيقة سلوك الشيخ تجاه الفرنسيين؛ فيذكر أن بوعمامة كان دائما حذرا في مخالطته مع السلطات الفرنسية بالجزائر، تارة بعامل الخوف، وأخرى بدافع المحافظة على نفوذه حتى لا ينهار. "وقد ذهب ضابط فرنسي لزيارته في يوم من الأيام فتمارض ونام. وكان إذا طلب منه التفاوض مع ولاية فرنسا طلب منهم أن يقطعوا إليه نصف الطريق على أن يقطع هو إليهم نصفها الباقي، حرصا على قواعد البرتوكول المعمول بها بين النظراء والأنداد.." ¹⁸

ويضيف المؤرخ المغربي نفسه، أن طلبه للأمان من فرنسا، كان يفسره تفسيرا خاصا، لم يشعر مريديه وأتباعه أنه يتفاوض معها مفاوضة الند للند والدولة مع الدولة..

5- التعامل بالحسنى

عمل بوعمامة، منذ تأسيس زاويته في بلدة مغرار التحتاني على إيجاد مناخ ديني متسامح مع كل الطوائف الجزائرية، بعد أن غاب عن الطريقة الشيخية شيخ، وكان هدفه جمع شمل قبيلة أولاد

سيدي الشيخ دون إقصاء أحد، وكان أن عمل على إحياء أذكار الطريقة وأورادها، وهي أحد عوامل التآلف والتوَادُد؛ ولم يفرق بين شراكة وغبابة ولا بين مرابطين وغير مرابطين، بل تعامل مع الجميع بإنصاف. فمقدموه، كانوا من مختلف طوائف مجتمع المنطقة، وهم أنفسهم مبعوثوه إلى قبائلهم أو إلى غيرها.

وقد عمل الشيخ على العناية بأصحابه المحاربين منهم وغير المحاربين، فكان يسهر على راحتهم ويسأل عن غائهم ويحنو على المريض منهم. فرفاقه هم العمدة وعليهم الاعتماد، وبهم يكون النصر أو الاستشهاد، فكان عليه أن يقترب منهم، وأن يعرف ظروف حياتهم ومتطلباتهم، ويشترك في حل مشاكلهم، ولم يكن يرضى لهم إلا الخير والنجاح، لذلك وثقوا في حركته وتفانوا في الذود عن وطنهم بكل ما أوتوا من قوة.

وكان يرسل السلطات الفرنسية للحفاظ عليهم ومعاملتهم بالحسنى، وكان يصدر رخص مرور لهم للتنقل من مكان إلى آخر؛ لكن الفرنسيين لم يكونوا يعترفون بتلك الرخص، يقول أحد الضباط الفرنسيين أن السلطات الفرنسية كانت لا تعترف بتلك الرخص، بل كانت تنزعها من حاملها ثم تعيده من حيث أتى.¹⁹

أ- مع بني عمومته: كان إيمان الشيخ كبيرا بوحدة العائلة الشيخية، فقد دعا إلى التآلف بين أفرادها، وتحلش دائما الصدام مع بني قومه، وكان يرفض التقاتل بين الإخوة المسلمين عامة، ويفضل الانسحاب على مقاتلة أبناء عمومته. رغم محاولاتهم هم جره إلى ذلك. لقد رأوا فيه منافسا لهم في قيادة سكان المنطقة، واعتبروه غير أهل لهذه الزعامة، وبخاصة لخمود ذكر قبيلته "أولاد سيدي التاج"، بالمقارنة مع بقية الزعماء الذين ورثوا الزعامة أباعن جد. فقد حاصره سليمان بن

قدور، زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابية، ليستولي على زاويته، فتركها له وغادر المكان منعا لإراقة دماء الإخوة.

وزاره قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ليلومه على إعلانه للجهاد في الوقت الذي لم يعم مقاومتهم عندما أعلنوا الجهاد سنة 1864، وأنه ليس أهلا لهذه الزعامة، وأن راية سيدي الشيخ هم حمايتها وليس بوعمامة. وسأله عن أتباعه، هل هم حقا مجاهدون؟ وخاطبه قائلا: لماذا انتظرت حتى فشلنا نحن؟²⁰

فكان أن استقبل هذه هذا وأضافه في خيمته واستمع إلى لومه وتأنيبه له دون أن يرد عليه بالأسلوب نفسه. وعندما اتهمه بأنه ضم إليه الرجال الذين كانوا إلى جانبه، قام الشيخ إلى رجاله، وخيرهم بين البقاء معه أو الانسحاب عنه، فتركه الكثير منهم وبقي معه آخرون.

ب- مع بقية الأفراد الجزائريين: كانت معاملة الشيخ مع بقية إخوانه من الجزائريين بالأسلوب نفسه. فقد حدث في 25 ماي من سنة 1881 أن ألقى القبض على "قهم" أغوية فرندة بزعامة القايد الطيب بن حمو واعتقلهم دون صعوبة، وهو في أوج الانتصار بعد معركة تازينة في 19 ماي 1881، ثم أطلق سراحهم دون شروط ليستميلهم إليه، وقد انضم إليه بعضهم، وبقي الطيب بن حمو وفيا للشيخ يخبره بما يبيت له الفرنسيون.²¹

وهو سلوك عال، يدل على حسن السياسة وإتباع سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، بنبد العنف وإسالة الدماء، دليله في ذلك تقليد السلف الصالح، وأولهم النبي صلى الله عليه وسلم، الذي استطاع بهذه الوسيلة تحبيب الإسلام إلى الأفراد والجماعات، رغم محاولات بعض أصحابه استعمال الشدة والعنف في كثير من الأحيان. من ذلك

ملروبي، من أنه صلى الله عليه وسلم قد عفا عن جماعة عسكرية من قريش (50 رجلا) جاءت لتنال منه، وهو مقيم بالحديبية يريد العمرة، بعد أن قبض عليهم، وكانوا "قد رموا العسكر بالحجارة والنبال".²²

وعندما جاءه رجل من أعوان الاستعمار بسمن مسموم، والشيخ مستقر في لدول، لم يعاقبه، بعد اكتشاف أمره، وكان قادرا على ذلك، ولكنه عفا عنه وسمح له بالعودة إلى بلده، قائلا له: "إنك لن تقتلني ولكن الله هو القادر على ذلك".²³

يقول عنه قرول، الضابط الفرنسي ورئيس مكتب عربي سابق (Ancien Chef de Bureau Arabe): لقد قلت دائما إن بوعمامة ليس رجلا دمويا.²⁴ -J'ai déjà dit que Bouamama n'était pas un homme sanguinaire. P/25.

وقد استدل قرول في هذا الطرح على بعض الأحداث، التي ذكرها كما يلي:

أولاً- كان رجال مقدمة جيشه قد قتلوا مجموعة من القوم يقودهم أحد الفرنسيين يوم 28 ماي 1881 في عين الدفالي، بينما كان يمكنهم أسرهم دون قتلهم، فغضب عندما علم بذلك، وقرر يوم 3 جوان الموالي ترك رجاله والعودة إلى بلدة «مغوار»، فتدخل شيوخ قبائل الطرافي وألحوا عليه للبقاء معهم ووعدوه بعدم تكرار العملية.²⁵

ثانيا- قام رجال مقدمة جيش بوعمامة بقتل عمال ورشة الحلفاء في خلف الله يوم 11 جوان، ولما علم بذلك في وقت متأخر، أعطى الأمر بإطلاق الأسرى منهم، وكانوا قد وصلوا إلى المكان المسمى الأعوج. ومن أجل إسكات غضبه تعهد رجاله بإطلاق سراحهم...²⁶

فالحق ما شهدت به الأعداء، وها هو الضابط الفرنسي المعاصر لمقاومة الشيخ يؤكد سلوك بوعمامة القويم تجاه الآخرين، سواء كانوا من الفرنسيين أو من أعوانهم؛ وهو سلوك ينم عن خلق كريم وعمل نبيل، صادر عن نفسية مترفعة عن الدنيا ورغبات النفس اللئيمة.

6- خلق الارتباك والاستنفار الدائم للقوات الفرنسية

رغم انسحاب الشيخ من المنطقة التي اندلعت فيها مقاومته، والتجاؤه إلى الجنوب الجزائري ثم إلى الأراضي المغربية في مرحلة ثانية؛ فقد ظل حجر عثرة أمام التوسع الفرنسي نحو الجنوب، وبخاصة وأن كل قبائل المنطقة الجنوبية الغربية موالية له، حتى وإن غلبت على أمرها ميدانيا. لكنها ظلت تستعيد ذكرى الشيخ البطل في وجدانها وتنتظروا إياه الفرصة المناسبة لاستئناف الجهاد مرة أخرى. وقد زاد من قوة الشيخ هناك في الجنوب، تحالفه مع الشيخ الدرقاوي بالجنوب المغربي والشيخ باجودة مقدم السنوسية بعين صالح. أما قبائل الشعامبة سكان الصحراء المترامية، فقد ظلوا إلى جانبه وبخاصة بعد خمود مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى.

والدليل على ذلك ما شهد به الأعداء؛ فقد جاء في كتاب دو لامارتينيرو ولا كروا، حول الشمال الغربي من إفريقيا، الصادر في نهاية القرن التاسع عشر، ما يلي: لا ننسى أن جميع محاولاتنا للقضاء عليه (بوعمامة) قد باءت بالفشل، بل استطاع أن يحدث في صفوفنا خسائر مهمة أكثر من مرة. أسفرت إحداها عن مقتل 78 قتيلًا. إن هذه المقاومة جد مكلفة على الحكومة الفرنسية باعتبارها حرب عصابات لا تخضع للطرق الحربية المألوفة... إنه وهو في الجنوب يستطيع أن يعيد الكرة ضدنا في أية لحظة بالنظر إلى القوة الكبيرة التي بين يديه

وللنفوذ القوي الذي يتمتع به، وللمكانة الدينية التي استعادها مؤخرًا على الوجه الأكمل.²⁷

ولهذا ولغيره مثلت مقاومة الشيخ بوعمامة العقبة الكبيرة تجاه التوسع الفرنسي نحو الجنوب الغربي حتى مطلع القرن العشرين، بإغاراتها الدائمة على أعوان الفرنسيين وعلى المركز المنعزلة للفرنسيين ونصب كمائن للعدو في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة التي لا يعلمها العدو. نستدل ذلك من كتابات الضباط الفرنسيين المعاصرين له أنفسهم. وفي هذا المجال يؤكد الجنرال ليوتي (1903-1906) في رسائله على خطورة بوعمامة وهو لاجئ في الأراضي المغربية. وذلك في رسالة له مؤرخة في 1903-12-29 جاء فيها ما يلي: "ينبغي أخذ الحيطة والحذر لأن هناك بوعمامة العدو الأبدي ومنبع جميع التحرشات، وكل جهودي ستكون منصبة للقضاء عليه. فإذا ما سقط ستسقط معه تقريباً جميع المصاعب التي نعاني منها على حدودنا بالجنوب الوهراني".²⁸

وبتاريخ 1904-2-17 يقول ما يلي: "يظل بوعمامة العقبة الكبرى أمامنا، وجميع جهودي منصبة الآن من أجل أن أتوصل إلى عزله ومحاصرته وجعله تحت رحمتنا. فهل سأنجح في ذلك؟ وإذا كنا قد أخفقنا في القبض عليه لمدة اثني عشر سنة، فإني لا أعتقد أننا سنوفق في ذلك في مدة لا تتعدى ستة أشهر.

ويقول في رسالة أخرى بتاريخ 1906-3-2 ما يلي: تصوروا حتى خاصتي من السبايس يؤدون "الزيارة" (والزيارة هي عطاءات مادية) لبوعمامة، وأما أولاد سيدي الشيخ الموجودون في البيض فلا زالوا في اتصال مع الغرب.

كل هذا يعني أن بوعمامة لم يتوقف يوما عن مناوشة العدو وإقلاقه بالغارات المستمرة، عليه وعلى أتباعه، حيثما حل وارتحل، إلى أن وافاه الأجل، وانتقلت الزعامة بعده إلى ابنه الطيب الذي وجد الاستمرار في المقاومة غير مجد، وبخاصة وأن الفرنسيين احتلوا بلدة عين بني مطهر(راس الما آنذاك) الحدودية سنة 1904، ثم احتلوا مدينة وجدة في الشرق المغربي سنة 1907.29

7-عدم الخضوع للفرنسيين

تميزت شخصية بوعمامة بصفات حميدة منها: الصبر على المكاره بمختلف أنواعها، سواء تجاه الفرنسيين أو تجاه بني عمومته، وتجاه كل معارض له مساند للسلطات الفرنسية، وصبره على الأوضاع المعيشية المزرية التي عاشها زمنا طويلا رغم العروض السلمية، ومطالبة بعض رفاقه له بالتوقف لأنه لا يستطيع مواجهة القوة الفرنسية، إلا أنه كان يقول لهم دائما: لن أخضع لأية جهة كانت، شرقية كانت أم غربية، وإذا سمعتم البارود في قبري فاعلموا أنني في حرب ضد الفرنسيين.³⁰

لقد واجه الشيخ الفرنسيين وجها لوجه خلال السنتين الأوليين (1881-1882)، وعندما اعترضته صعوبات مختلفة أثر الانسحاب إلى الجنوب، حيث بقي حوالي عشر سنوات في منطقة دلدول. ومن هناك ارتحل إلى المغرب بعد أن كثرت عليه الضغوط من قبل الفرنسيين والسلطات المغربية، كما أن انسحاب أغلب أتباعه بتحريض من جهات مختلفة كان أحد أسباب هجرته الثانية نحو المغرب. ورغم عروض الاستسلام التي عرضت عليه، فقد بقي مدة 27 سنة بعيدا عن المنطقة التي يسيطر عليها الفرنسيون، وكان ينصح أتباعه من القبائل المختلفة أن يفعلوا العمل نفسه. وهو من الزعماء القلائل الذي لم

يخضعوا للاستعمار ولم يلق عليهم القبض، ولهذا لا تعرف له صورة فتوغرافية عند الفرنسيين.

لم يلق ولم يخضع، ولم يتأثر بمن سالم الفرنسيين، حتى عندما تركته الكثير من القبائل التي فضلت الاستفادة من الهدنة التي عقدت بين زعماء مقاومة أولاد سيدي الشيخ في المرحلة الأولى، لأنه كان يعرف أن الأعمار بيد الله، واعتقد أن الخضوع للفرنسيين هو موالاة للكفار، فرفض ذلك.

وقد ساعده على مواصلة عدائه للفرنسيين، انضمامه إلى ثورة الجيلالي بن عبد السلام الزرهوني المعروف بـ بوحمارة/الروقي في المغرب الشرقي؛ فقد استغل العرض الذي تقدم به هذا الثائر على السلطان المغربي، عندما وصلت رسالته سنة 1902 يطلب منه مساندته لمحاربة الخونة والمفسدين المتعاونين مع العدو الكافر. فانضم إليه لمحاربة السلطان المغربي مولاي عبد العزيز الذي سلب العرش عن مستحقه مولاي أحمد - كما كان الاعتقاد -

وقد اتهم هذا الثائر المغربي، السلطان مولاي عبد العزيز بموالاة الفرنسيين والتأثر بالغرب عامة، وشرح للشيخ بوعمامة، كما يقول عبد الوهاب بن منصور المؤرخ المغربي، "اتهامه لأخيه السلطان- بزعمه- ورجال مخزنه بموالاة الكفار وممالاتهم والرغبة في اقتباس نظمهم وعاداتهم وإدخالها إلى المغرب.."³¹ مما يتوجب مقاومة ذلك النظام المغربي الهش الخاضع للغرب الاستعماري، والمعرض للضغوط من قبل قوات الاستعمار الفرنسي، وهو ما كان يحاربه الشيخ بوعمامة في الجزائر، أي محاربة من يوالي الأوربيين الصليبيين أعداء الإسلام والوطن.

وإذا كان الشيخ بوعمامة قد وجد السند في المغرب، بعد انتقاله إليه؛ فإن الأمير عبد القادر، مثلاً، لم يجد مثل هته الفرصة عندما كان يلتجئ إلى الأراضي المغربية حين يشتد عليه الوضع في الجزائر؛ بل وجد نفسه بين كمامشة القوات الفرنسية من الشرق والقوات المخزنية المغربية من الغرب، مما اضطره إلى التوقف عن المقاومة.

وقد شارك بوعمامة، في الانضمام إلى الروقي/بوحمارة، عبد المالك ابن الأمير عبد القادر القادم من بلاد الشام رفقة نجله الطيب رفيقه في الكفاح. وقد واصل الشيخ عداوته للفرنسيين إلى وفاته في أكتوبر من سنة 1908 وهو طليق حر لم يخضع لأية جهة كانت.

وبهذه الخصائص التي ذكرناها عن مقاومة الشيخ بوعمامة، نجد لها تشابه في بعضها بقية المقاومات الشعبية الأخرى، وتنفرّد ببعضها دون غيرها. وقد طبع الشيخ بوعمامة هذه المقاومة بطابعه الخاص وأصبغ عليها طبعه وطباعه.

العوائق المحلية في وجه مقاومة الشيخ بوعمامة

اعترضت بوعمامة مجموعة عوائق كانت أحد أسباب تدهور حالة المقاومة، في أحيان كثيرة، ولكنها لم تقض عليها؛ بل استمرت المقاومة تتحدى الفرنسيين وغير الفرنسيين برفض الاستسلام ورفض العمل تحت راية الكفار، كما كان يرى الشيخ.

1- القوى الاستعمارية

إنها فرنسا، القوى الكبرى صاحبة المصلحة في القضاء على رمز المقاومة والتي كانت تؤلب عليها قبائل المنطقة المراد احتلالها في الجنوب، وتعمل للقضاء عليه هو إما بالقبض عليه أو بإبعاده إلى أقصى حد من الحدود الجزائرية المغربية، وبتهريض بني عمومته

عليه، وتقديم الإغراءات لضعاف النفوس للخروج عنه ومعاداته، وتجنيد قوات ضخمة تتكون من عدة طوابير للاحقته حيثما حل؛ كما جندت من أعوانها العارفين بخبايا السكان مما كان له أشد الوقع عليه.

وكانت تضغط على السلطان المغربي لطرد بوعمامة أو القبض عليه، وبخاصة منذ إنشاء مفوضيتها بطنجة. وقد ورد مثل ذلك في الاتفاقيتين المعقودتين بين السلطين في سنتي 1901 و1902.

وكانت تقوم بتجريد أعوانه من وسائل عيشهم وتدمير محاصيلهم وحجز مؤنهم، إلى جانب القتل والسجن والنفى (إلى الشرق الجزائري- وإلى كاليدونيا..). وقد تم تدمير زاويته من قبل القوات الفرنسية بما فيها من متاع وحجز أملاكه يوم 22 ديسمبر 1881 ببلدة مفرار التحتاني.³² وعاقبت سكان القصر بحجز بساتينهم وبيعها في المزاد لأعوانها القادمين من جهات مختلفة.

2- المخزن المغربي

كانت السلطة المغربية هي السلطة الشرعية المحلية الوحيدة في المنطقة بعد القضاء عليها في كل من الجزائر وتونس. وباعتبار أنها تملك سلطة معنوية بسبب الأخوة في الدين، كانت علاقة الشيخ بها دائمة لوجود أعداد هامة من أعوانه في البلاد المغربية. ورغم ضعف هذه السلطة فهي تملك سلطة ما. هذه الجبهة كانت ترفض معاداة فرنسا المجاورة لحدودها خوفا من المتابعة والسيطرة على المغرب. وقد راسلت سكان الحدود طالبة منهم عدم التعاون مع بوعمامة وطرده لأنه فتان وصاحب أغراض دينية، أو أنه يريد إنشاء إمارة مستقلة في الأراضي المغربية.

وقد جاء في إحدى رسائل السلطان إلى قبائل المناطق الحدودية
ينهاهم عن التعامل مع بوعمامة ومن معه. "وعليه فإن كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فلتبادروا بالخروج من زمرة الخائضين المذكورين.
ولتطردوا كل من ورد عليكم منهم يريد إدراجكم في حزبهم والدخول في
زمرتهم. ولتقصروا نظركم على عمارة أرضكم والمحافظة على دينكم
ومحارمكم... وإن ورد عليكم أبوعمامة الشيعي فنأمركم أن لا تقبلوا
استقراره ولا نزوله ببلادكم. إذ لا خير له ولا لكم في بقاءه بناحيتمكم."³³
كما فعل السلطان مع سكان فكيك الذين رفضوا استقباله سنة
1883 وفي سنة 1902 تطبيقاً لأوامر السلطان المغربي.

وبما أن سلطة المخزن كانت تعتبره مغربياً، فكان يجب إيقافه عند
حدّه والرضوخ للسلطة وما تريده. وكانت فرنسا تضغط على المخزن
للتحرك ضد الشيخ، وبخاصة منذ إنشاء فرنسا لممثلية لها في طنجة.
"فقد وجه برتليجي سان هيلان، المكلف بشؤون فرنسا بالمغرب، رسالة
إلى محمد برقاش، ممثل السلطان في طنجة ووزير خارجيته، يتساءل
فيها عن الأخبار القائلة بإقدام سكان منطقة تافيلالت على مساعدة
بوعمامة، وينبهه إلى ما سيسفر عنه هذا العمل.... وقد رد برقاش وكأنه
فوجئ بالأخبار التي تضمنتها الرسالة وبأن هذا العمل لن يقبله جلاله
الملك..."³⁴ وقد أكرت فرنسا من الشكاوي ضد بوعمامة، وما كان على
السلطان إلا تنفيذ ما تريده السلطات الفرنسية ولكن بحسب إمكانياته
المحدودة.

3-بنو عمومته

عمل زعماء أولاد سيدي الشيخ بأنفسهم حيناً وبتحريض من
الفرنسيين حيناً آخر، على التحامل على الشيخ. فقد سعوا إلى إبعاد
القبائل التي كانت موالية لهم عن مناصرته سواء كانوا مغاربة أم

جزائريين، منهم سليمان بن قدور وقدور بن حمزة وأخوه الدين وعلال بن الشيخ.³⁵ ففي نهاية سنة 1882 وجد الشيخ نفسه مجردا من كثير من القبائل المناصرة له، وبخاصة وأن الشيخ كان لا يواجه بني عمومته في ميدان المعارك، بل كان يتحاشى ذلك وعلى حساب مستقبل حركته أحيانا كثيرة، وكما ذكرنا فقد حاصره سليمان بن قدور ليستولي على زاويته، ففضل الشيخ تركها له وانسحب، كما -تعمل، ما ذكرناه سابقا، من لوم قدور بن حمزة والانتقاص من مقاومته، ولم يرد عليه بسوء، بل أكرمه وعامله بالحسنى.

4-القياد والباشوات، عملاء فرنسا

استطاعت فرنسا أن تكون طبقة من العملاء من بين الجزائريين الذين خدموا مصالحها من أجل تحقيق مصالحهم الخاصة على حساب مصالح بلدهم بالقضاء على أبناء بلدهم من الوطنيين الراغبين في مواجهة الاستعمار بكل قوة. وقد تمثل ذلك في فرق القوم وفرق السبايس التي كان يقودها زعماء أعمتهم مصالحهم على مصالح قومهم العليا.

منهم باشاغا فرندة المدعو أحمد ولد القاضي، وهو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل خصم الأمير عبد القادر وزعيم قبائل الدوائر. هو الذي أعلم السلطات الفرنسية بتحركات مقدمي الشيخ بين القبائل؛ حيث أعلم جنرال القسم بتاريخ 15 أبريل 1881 وأعطاه أسماءهم، وهم المبعوثون إلى قبائل الطرافي والرزاينة والاحرار في دائرة جيريغيل وسعيدة وتيارت.

ومنهم الآغا قدور ولد عدة آغا سعيدة الذي اعترض بقومه عدة قبائل لمنعها من الانضمام إلى الشيخ(الرزاينة). ومنهم الآغا قدور

الصحراوي آغا الاحرار الذي طارد القبائل الثائرة مثل الاغواط اكسل ودوار أولاد سيدي الناصر.

ومهم قايد الشلالة الظهرانية الذي خابر الفرنسيين في 23 مارس 1880 وأعلمهم بمن زار بلدة مغرار للالتقاء ببوعمامة ومعه الهدايا للشيخ. وأعلمهم أن بوعمامة قام بزيارات لقبائل حميان والطرافي والرزانية. وأخيرا أخبر العقيد إينوسينتي الذي أقلع من جريفيل يوم 14 ماي 1881، أن بوعمامة يبيت في القصر (19 ماي)، وأنه على رأس 1500 فارس و1200 مشاة، وهو ينوي لقاءه في الغد (19 ماي). وقد شارك هؤلاء "القوم" كلهم في معركة تازينة إلى جانب القوات الفرنسية في مواجهة قوات الشيخ بوعمامة.

5- سكان فكيك

فكيك بلدة مغربية تقع إلى جوار بلدة بني ونيف الجزائرية. بها طوائف هامة من ذوي الأصول الجزائرية كالعمور وأولاد جرير وأولاد سيدي الشيخ، والذين يعتبرهم البعض مغاربة. بالإضافة إلى السكان الأصليين للقصور السبعة التي تتكون منها المدينة وهم الشلوح.³⁶ وقد كان لسكان المدينة علاقة وطيدة وحميمية بسكان جبال القصور في الأطلس الصحراوي الجزائري منذ أقدم الأزمنة عن طريق التبادل التجاري والعلمي والفلاحي والمصاهرة.

عاش فيها الشيخ بوعمامة فترة طويلة من حياته قبل أن ينتقل إلى بلدة «مغرار» سنة 1875، وله فيها أهل وأصحاب؛ فهو من أولاد بلحمة الذين استوطنوا قصر الحمام التحتاني منذ القرن الثامن عشر، بعد أن انفصلوا عن عشيرتهم أولاد سيدي التاج المقيمين بضواحي بلدة «مغرار».

ورغم أن سكان المدينة كانوا قد دعموا مقاومة الأمير عبد القادر بالسلح وساعده مهندسو الأسلحة والذخيرة؛ فإنهم رفضوا استقبال الشيخ بوعمامة سنة 1883 بعد خروجه من منطقة الانطلاقة. كما رفضوا استقباله سنة 1900-1902 بعد عودته من لدول. وكان الرفض تلبية لأوامر السلطان المغربي مولاي الحسن ثم بعده مولاي عبد العزيز. ومن هناك دخل الشيخ المغرب في اتجاه وجدة بعد أن تلقى عرض التحالف مع الروقي/ بوحمارة. وهي الفرصة التي ساعدته على إيجاد حليف مغربي في مواجهة السلطة التي كانت تتخوف من وجوده على أراضيها.

الهوامش

1-عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010، ص: 55.

2-أنظر: Archives d'Aix-en-Provence : 22H/9. GMM

3-جرت حادثة بين كاتبه سي الفضيل وبعض جنود الصبايحية، اعتقل على إثرها هذا الأخير من قبل المكتب العربي بجيريفيل(الببيض)، مما أثار حفيظة سي سليمان، وكانت هذه الحادثة التي أفاضت الكأس ضد الفرنسيين.

4-عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص: 137.

5-عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908 جانها العسكري والسياسي، دار هومة، الجزائر 2013، ص: 108-109.

6-من القبائل التي زارها نجد قبائل الرزاينة وأولاد خليفة وحميان والطرافي وأولاد التومي وأولاد أحمد. ومن المقدمين الذين أرسلهم نذكر: مرزوق السروري- الطيب الجرمان- العربي ولد الطيب- بلقاسم ولد لزغم.

7-عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، المرجع السابق، ص: 12.

8-أنظر: -Empéranger, Etude sur les causes, les effets et les conséquences de l'insurrection de 1881, cercle de Tiaret, le 1^{er} Janvier 1883, archives de la wilaya d'Oran N° 4465.

9-أنظر: -Bezy (Le citoyen), Insurrection du sud Oranais, publié par le Citoyen Bezy, Oran collet 1884, P : 14.

10-أنظر: 11-Bezy(Le citoyen), IBID, P : 13-14، ثم مولاي الحسن حتى سنة 1894، ثم مولاي عبد العزيز بعد ذلك.

- 12-عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص. 108.
- 13-أنظر: 14-Bezy(Le citoyen), IBID, P : 13 -أنظر: 15-Bezy(Le citoyen), IBID, P : 15. عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 71.
- 16-عبد القادر خليف، الشيخ بوعمامة وقضية الأمان، مجلة حولية المؤرخ، العدد الثاني سنة 2000. ص: 206-205
- 17-عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 152.
- 18-عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979. ص. 91
- 19- أنظر: Dans l'extrême sud oranais, un poste dans le bled, en escorte de convoi au Sahara, manuscrit d'un officier anonyme, Paris 1900-1901, 151 pages. Archives de la wilaya d'Oran, cote N°182
- 20-أنظر: 249 Hamza Boubakeur , Un Soufi Algérien Sidi Cheik, éditions Maisonneuve et larose, Paris 1990. P:
- 21-يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980، ص: 250.
- 22-محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق 1399هـ/ 1979، ص: 303.
- 23-عبد العالي محمد بن أحمد، 95 سنة، المقابلة في عين الصفراء 1995، عن والده الذي زار الشيخ في لدول، أما اسم المتهم فهو بن صابر.
- 24-أنظر: Graulle. E. Insurrection de Bouamama, édition militaire Henri Charles-lavauzelle. Paris 1905. P : 52
- 25-أنظر: Graulle.. P : 53.
- 26-أنظر: Graulle.. P : 76 - لكن الحقيقة، كما يقول قرو، أنهم لم يهرحوا سوى الرجال البالغين وأخفوا عنه النساء والأطفال في خيامهم، وأخذوهم أسرى.
- 27-أنظر: De lamartinière et Lacroix, Document pour servir à l'étude du nord ouest africain, gouvernement générale de l'Algérie, Tome/2, A. Jourdan, Alger 189 -أنظر: 28-Lyautey, Vers le Maroc, lettres du sud oranais 1903-1906, librairie Armand colin, Paris 1937. P : 95.
- 29-لم يحتلوا بلدة عيون سيدي ملوك التي كانت زمالة الشيخ مقيمة بجوارها، سوى سنة 1910 أي بعد وفاته بستين.
- 30-رواية العديد من أبناء المشاركين في المقاومة الذين التقينا بهم في التسعينيات عندما كنا نحضر أطروحة الدكتوراه حول الشيخ بوعمامة. منهم حفيده بوعمامة حمزة بن عبد الحاكم، 72 سنة، شيخ الطريقة بعين بني مطهر بالمغرب الأقصى، المقابلة سنة 1999
- 31-عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1425هـ/2004م. ص. 309.

- 32-عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 85
- 33-عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، ص: 83
- 34-عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص: 96
- 35-أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي في الغرب، ص: 67
- 36-هي قصور: زناقة- الوداغير- المعيز- الحمام فوقاني- الحمام التحتاني- أولاد سليمان- العبيدات.